مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (24) العدد (17)2002
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Human Sciences Series Vol (24) No (17) 2002

سمات النثر الفني عند المعري

الدكتور حكمت عيسى *
فاطمة محمد علي **

(قبل للنشر في 2002/10/10)

□ الملخّص □

لقد كان المعري أديباً موسوعياً غزير العطاء ، ضاع من إنتاجه الكثير ، لكن ما سلم منه يعطي فكرةً كافيةً عن أسلوبه في تأليف رسائله النثرية ، و قصائده الشعرية ، و قد سعينا في هذا البحث إلى التفصيل في السمات العامة لنثره ، و التي توصّلنا إليها نتيجة قراءتنا لأعماله المطبوعة ، التي ساعدتنا في التعرّف على الأسلوب الذي اتبعه في تدبيج رسائله وكتبه نوجزها بما يلي :

- § المبالغة .
- § الإيقاع .
- § الغريب .
- § السخرية في بعض أعماله .
- § الاستطراد واستخدام الجمل الدعائية والاعتراضية .
- § الحكم و الأمثال والاقتباس من الشعر والقرآن الكريم.

* أستاذ مساعد _ قسم اللغة العربية _ كلية الآداب و العلوم الإنسانية _ جامعة تشرين _ اللاذقية _ سورية

**طالبة دراسات عليا _ قسم اللغة العربية _ كلية الآداب و العلوم الإنسانية _ جامعة تشرين _ اللاذقية _ سورية

مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (24) العدد (17)2002
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Human Sciences Series Vol (24) No (17) 2002

The features of technicel prose of al – Ma'ari

Dr Hekmat Issa*

Fatima M. Ali **

(Accepted 10/10/2002)

□ ABSTRACT □

Al-Ma'ari was an encychopedic writer with plentiful grant. Alot of his production was lost , but what was intacted of it gives an enough idea about his style in oranmenting his prose letters and his Poetic Pomes . we have sought in this research to detail in the general features of his prose which we reached as a result of reading his printed works that helped us to know his style he followed in the ornamentation of his letters and books . We summarize them as the following :

1. The exaggeration
2. The rhythm
3. The strange
4. Irony in some of his works
5. The digression and The use of propaganda sentences and the parenthetical ones .
6. The proverbs and wisdoms and the quotation from poetry and Koran .

*** Lecturer Arabic Department , Faculty of Arts and Human , Tishreen Univarsity, Lattakia , syria .**
****Master student at Arabic Department , Faculty of arts and Human , Tishreen Univarsity, Lattakia , syria .**

المقدمة :

لقد كانت الكلمة محور حياة المعري التي أظلمها العمى فأنارتها الكلمة باعتبارها صلة الوصل الوحيدة التي تربطه بالعالم واللغة تقوم على الكلمة و بالكلمة ، الأمر الذي دفعه إلى إعلاء شأنها وتقديسها ، ومن هنا كان اهتمام المعري باللغة كبيراً فنراه يتأنق في اختيار عباراته ، ويترفع عن استخدام اللفظ السوقي والمبتذل ، فلا تجد في أعماله لفظاً مستهجناً يستنكره الحسّ وينبو عنه الضمير ، و إن استخدم حوشي الألفاظ وغريب الكلمات ، فإنّه أبداً لم يخدش المشاعر بها ، بل كان ذلك من باب المحافظة عليها من الضياع في عصرٍ كثر فيه الأعاجم الذين يُدخلون على العربية الكثير من الألفاظ الغريبة عليها و البعيدة كل البعد عنها . لذا كان استخدام الغريب إحدى السمات الهامة والفريدة المميِّزة لأدب المعري بشكلٍّ عامٍ و نثره بشكلٍ خاص . ومن هنا كان لابدّ من الوقوف عند سمات نثره وإظهارها وإبراز أثرها في النثر العربي بعده .

سمات نثر المعري

1 المبالغة

تشكّل المبالغة قوام أعمال المعري عامّةً . وإن كان في الطّور الأول من حياته (أي مرحلة ما قبل العزلة) يبالغ في ملاطفة مراسليه ، فإنّه في الطّور الثاني يبالغ في ملاطفة بعضهم أحياناً ، وفي السخرية من بعضهم أحياناً أخرى . مستخدماً لذلك صوراً فنيةً دقيقةً تدلّ على ما لصاحبها من قدراتٍ فريدةٍ و مميزةٍ .

وهو إذ يبالغ في مجاملاته . فإنّه يعظّم شأن مخاطبه ويغالي في وصف مزاياه . وهذا ما يبدو جليّاً في رسالتيه إلى الوزير أبي القاسم المغربي (المنيح والاغريض) فقد جعله سيداً حبراً ، ومالكاً أعنّة النّظم والنثر ، كما جعل قراءة كتابه نسكاً وختامه مسكاً .

وأحياناً لا يسع القارئ إلا أن يبتسم وهو يقرأ صورة الكتاب ووقعه في نفوس متلقيه :

((.. أُجلّ عن التقبيل فظلاله المقبّلة ، ونزّه أن يبتذل فنسخه المبتذلة ، وإنّه عندنا عزيزٌ .. ولولا الإلاحة على ما ضَمِنَ من الملاحة ، والخشية على دُجى مداده من التَّوزُّع ، ونهار معانيه من التَّشتُّت والتَّقطُّع ، لعكفت عليه الأفواه باللّثم ، والموارن بالانتشاء والشّم ، حتى تصير سطوره لمىً في الشفاه وخيلاناً على مواضع السُّجود من الجباه ...)) [1]

فالمعري يبالغ في إجلال كتاب الوزير مبالغةً شديدةً . يتعامل معه وكأنّه كتابٌ مقدّسٌ ، أو جوهرةٌ نادرةٌ ، يخاف عليها من الضّياع .

ونجده في بعض الرسائل بعد أن يعظّم من شأن مخاطبه ، يقلّل من شأن نفسه . حتى يصل إلى تحقيرها أمامه ، إلا أنّه سرعان ما يعود ، لا ليذكر فضائله ومعارفه ، بل ليثبتها ، بما لا يترك مجالاً للشكّ في أنّه العالِم الغنيَّ القوي بعلمه . يقول في رسالة الملائكة:

((وحُقَّ لمثلي ألا يُسأل ، فإنْ سُئل تعيّن عليه ألا يجيب . فإن أجاب ففرضٌ على السَّامع ألا يسمع منه ، فإن خالفَ باستماعه ففريضة ألا يكتب ما يقول ، فإن كتبه فواجبٌ ألا ينظر فيه ، فإن نظر فيه فقد خبط في عشواء ...)) [2]

يُلاحظ في كلامه هذا الكثير من التواضع والاستهانة بقدراته المعرفية . حيث لا يجب أن يُسأل ، ولا يُسمع منه ، ولا يُكتب عنه ، ولا يُنظر فيما كُتب عنه . في حين تكشف لنا الرسالة عن عالمٍ مبحرٍ في العلم ، يفنّد آراء المتقدمين ، ويكشف الزيف عن بعضها ، ويثبت الجيّد منها . وكلّ هذا بالدليل و البرهان القاطعين .

أما في الطّور الثاني من حياته فيستخدم المبالغة للسخرية ، و يبدو ذلك في كثيرٍ من رسائله . فرسالةٌ كرسالة الغفران تحمل المئات من عبارات الدعاء لابن القارح . الذي لا تخفى سيرته على أحدٍ . مما يعني في ظننا التهكّم و السخرية من هذه الشخصية التي تحاول تمثيل دور الأديب العالم البارّ التقيّ . ناهيك عمّا جاء في الرسالة من صورٍ ومواقفَ تبيّن أنّ كاتبها لا يتوانى في رسم صورةٍ كاريكاتوريةٍ لبطلها الشيخ التائب بعد أن شبع من الدنيا وما فيها . وليس أدلّ على ذلك من مشهد دخوله الجنة ، وحمل الجارية له على الصراط .

و يبدو أن المعري اعتاد على أسلوب المبالغة في كتاباته فأضحى السائد فيها ، خصوصاً الرّسائل . على أنّه ((قد اتّخذ لهذه المبالغة دواءً حسناً ، فما تجد مبالغةً في نثره إلا وقد أحاطها من الألفاظ بما يكفُّ من غلوائها ، فتراه يستعمل كاد مرةً ولو مرةً أخرى .)) [3]ونكاد نجزم أنّ معظم مبالغاته من باب السّخرية ممن يقصده بالرّسالة ، و لكنّه بفضل ذكائه استطاع أن يغلّف سخريته بأسلوبٍ لطيفٍ يخفي مقاصده ، أو يخفف من وقعها على الأقل .

2 الإيقاع

الإيقاع تشكيلٌ زمانيٌّ ، نبضٌ يحرك المشاعر والأحاسيس ، إنّه ترنيمة الذات بالكلمات . وهو يقوم على الموسيقا الداخلية للجملة النثرية أو البيت الشعري .

الإيقاع يحوّل الكلمات إلى أفكارٍ ، وكثيراً ما نعرف الأغنية بمجرد سماع لحنها . فاللّحن يردد كلمات الأغنية . ((والكلمة لا تعود صورةً للفكرة ، بل تغدو بواسطة الإيقاع تلك الفكرة بحدّ ذاتها .)) [4]

وهكذا يقوم الإيقاع بعملية الكشف عن الأفكار بطريق الإيحاء ، و ذلك بالاعتماد على نغمتين إحداهما طويلة و الأخرى قصيرة وبتغيّر ورود هاتين النغمتين أو تكرارهما ضمن القطعة النثريّة يتغير الإيقاع ، مما له الأثر الكبير في كيفية فهمنا لقصد الكاتب

تشغل الموسيقى حيّزاً هاماً من البنية الجمالية للعمل الأدبي ، لما تقوم به من إثارة المشاعر وتهييج الأحاسيس . والإيقاع يعتمد على جرسٍ موسيقيٍّ ، ينطلق من استعمال الكاتب لأنواع البديع ، حيث يخلق السجع عنده شعوراً بالراحة والتريث والهدوء أثناء كتابة عمله الفني. وأبو العلاء يعلم ما للسّجع من أهميةٍ في تحقيق الإيقاع الموسيقي الذي يسترعي الانتباه ، فيسرف في استعماله إسرافاً لافتاً .

والمعري يستخدم كلّ أنواع السجع في نثره ، ونجد عنده رسائل مسجوعةً بكاملها ، لاسيما رسائله القصار كالمنيح و الإغريض إذ يُحدث السجع المرصّع في المقطع التالي من رسالة الإغريض جرساً موسيقياً ، يُنتج إيقاعاً واحداً ، يتكرر في كلّ جملة حين يقول :

((السلام عليك أيتها الحكمة المغربية ، و الألفاظ العربيّة ، أيُّ هواءٍ رقاكِ ، و أيُّ غيثٍ سقاكِ برقُه كالإحريض ، و ودقه مثل الإغريض ، حلّلت الربّوة ، وجللت عن الهبوة .)) [5]

و يعتمد الإيقاع هنا على جرسٍ موسيقيٍّ ، أوجدته وحدة الحرفين الأخيرين في كلّ جملتين متتاليتين . مما أحدث وقعاً حسناً ترتاحه الأذن ، مما يوحي بالهدوء النفسي لمؤلف الكلمات ويرخي بظلاله على المتلقي أيضاً ، رغم التكلّف الواضح في ذلك .

و لعلّ استخدام المعري لأنواع السجع ، حفّزه إلى ابتكار عددٍ كبيرٍ من الكنايات التي تولّدت من طبعٍ سليمٍ ، وسليقةٍ صحيحةٍ ونتيجةٍ لثقافةٍ واسعةٍ باللغة والألفاظ العربية . وتتجلّى براعته في اختياره لألفاظ كناياته ، حيث جاءت متناسبةً ، وملائمةً لبعضها البعض ، وتُفصح عن ذاتها ، إذ تدور في فلك العلاقة مع المكنى عنه ، وتؤدي دوراً في توليد إيقاعٍ موسيقيٍّ يستوحي الصور و يستثير المشاعر ، نتج عن التزامه بما لا يلزم في سجعه ، فتخيّر الحروف ناهيك عن الألفاظ ليثير العجب و الإعجاب . حتى وإن اضطر إلى التكلف واستحضار الغريب .

يقول على لسان الصّاهل عندما يسأله الشاحج عن مقصده واصفاً عزيز الدولة ((إلى حضرة مواسٍ آسٍ ، قد بسط آمال النّاس ، أديب آدبٍ ما هو بجديبٍ و لا جادبٍ . كاد عدله في الآفاق مطراً ، تأرّجت البلاد بثناءٍ عليه ، فهمَّ الجوُّ أن يكون عِطراً أقام السوقَ للفصاحة ، وأذكى القلوب بالتذكرة ، وأيقظ العيون من طول الرّقدة .)) [6]

فالكاتب لا يعتمد في اختياره لألفاظه على معنى هذه الألفاظ فقط ، بل على ما تعطيه من قيمةٍ جماليةٍ ، تتأتى من عدة عوامل منها : توافق الفواصل ، وتناسب مخارج الحروف ، والصدى الذي يتردد في النّفس عند قراءتها .

بينما يعتمد على الكناية و المطابقة في الحديث عن الخمرة التي ذكر لها أسماءً مختلفةً طابق بينها وبين نتائجها التي يؤدي إليها شرب الخمرة :

((لُعنت القهوة ، فكم تهبط بها رهوةٌ ، لا خير في الخمر ، تُوطئ على مثل الجمر . من اصطبح فيهجاً ، فقد سلك إلى الداهية منهجاً . من اغتبق أمّ ليلى ، فقد سحب في الباطل ذيلاً. من غري بأمِّ زنبق ، فقد سمح بالعقل الموبق . من حمل بالراح راحاً فقد أسرع للرّشد سَراحاً. من رضي بصحبة العُقار ، فقد خلع ثوب الوقار ، من أدمن قرقفاً ، فليس على الواضحة مُوقفاً من سدك بالخرطوم ، رجع إلى حال المفطوم . المواظبة على العانيِّ ، تمنع بلوغ الأماني ..)) [7]

3 الغريب

تشكّل اللغة عند أبي العلاء صلة الوصل الأساسية التي تربطه بالمجتمع المحيط به . ولأنّه ((يرى الكلمات و الحروف كائناتٍ تروّع الناس و تتحدّاهم)) [8] فقد جاهد في أن يمتلك زمامها ، ويروّض صعابها ، إذ يشعر بكيانه و وجوده فيها . لذلك أوجد لنفسه لغةً خاصةً تحمل مفاهيم ودلالاتٍ خاصةً ، حيث يستخدم ألفاظاً غير مألوفةٍ ، ليشكّل منها تراكيب غريبةً يؤدي بها معنىً يمكنه الوصول إليه بطريقةٍ آنس و أسهل . ولكنّه ربما آثر هذه الطريقة ليبيّن ما تختزنه حافظته من اللغة أو ليؤدي من خلالها واجبه العلمي تجاه تلاميذه ، فيلقنهم كلّ ما لديه من علمٍ وفنّ ، مما اضّطره إلى تكلّف ألفاظٍ من الغريب ، لم تأت عفو الخاطر ، بل كان يسعى إليها وصولاً إلى تكوين علاقاتٍ لغويةٍ جديدةٍ ، تعتمد على الصنعة اللفظية التي أُغرم بها ، فلم تفارق كتبه ورسائله . وقد أكثر من استخدام السّجع والمطابقة والمقابلة والتورية والجناس وكل ما يسبب التوافق بين الكلمات في الجرس الموسيقي والإيقاع ، فأوقع أعماله الفنية في الغموض ، حيث الإلغاز و الإيهام والتعقيد الذي طبعها و ميّزها ، و انتهى به إلى تأليف كتبٍ يشرح فيها ما أتى به من غريب في مؤلفاته .

ولأنّ الكلمة الشغل الشاغل لأبي العلاء ، نجده يستحضر من مخزونه اللغوي الألفاظ الغريبة والنادرة الاستخدام ، ليكونّ منها تراكيب غريبةً تؤدي إلى صورٍ فنيةٍ . وتكمن لذة القارئ في الكشف عن تلك الصّور ، والبحث عن المقصود بها . ومن الممكن أن يكون قد استخدم هذا الأسلوب لإخفاء مقاصده في نقد الواقع والمجتمع في عصره ، إذ يشغل القارئ بألفاظه بدلاً من معانيه . و إنْ شرحَ كتبه فيما بعد ، فإنّما كان يشرح معاني الألفاظ ، ولكنّه أبداً لم يكن يشرح معاني الصور .

يقول في الفصول و الغايات :

((كم من عَضَبٍ أَفَلَّ ، ما كهمَ و لا كلَّ ، أثره كآثار النّمل ، تدرّجَ على نقيّ الرّمل ، سبَّحَ فلم يملَّ ، فعسى قلبُك و لعلّ ، أن يسعدَ فلا يَزِلُّ . من صرخ و استهلَّ ، و رأى هلالاً فأهلَّ . و الجبلُ حيث حلَّ ، للخالق خضع و ذلَّ .)) [9]

تبدو الصنعة اللفظية جليةً هنا ، من ذلك السجع الواضح والألفاظ الغريبة . وقد عُني المعري في شرح غريبها من خلال التفسير الذي يلحقه بكلّ قطعةٍ نثريةٍ ، بعد أن ينهيها بلفظة غاية . وهي لفظةٌ رأى الدارسون أنّه قصد بها جعل غايات الفصول على حرفٍ من الحروف والتزامه به . ويحفل كتاب الفصول و الغايات بهذا النوع من الغريب والتكلّف اللغوي الذي يؤدي إلى التفكك ، وعدم الترابط في الأفكار ، ولاسيّما أنّه يقيّد نفسه بقيودٍ غير لازمةٍ ، يبيحها لنفسه كي يثبت مقدرته المتميزة و عبقريته الفذّة بالإلمام بألفاظ اللغة جميعاً، مما حدا به إلى استجداء الألفاظ و السعيِّ إليها .

لقد تميّز أبو العلاء بسعة الخيال و خصوبته ، وقد جسّد هذا التميّز باستخدامه اللغة الفنيّة الموحيّة القادرة على إثارة الحسّ الجمالي ، والتي تنطوي على الكثير من الرّموز ، وكان لاستخدامه اللفظ الغريب والشاذّ ، واللفظ الدالّ على أكثر من معنى دورٌ هامٌ في تفعيل الرّمز فجاءت لغته الرّمزية لتعبّر عن مكنونات نفسه ، وتمحي الحدود الفاصلة بين عالمه الفكري وعالمه الشعوري .

والمعري يستخدم الأسلوب الإخباري في رسائله جمعاء – وهذا يعود لواجبه التعليمي كما نظن – وفي حين يعتمد على الإنشاء إلى جانب الإخبار في رسائله القصار ، نجده يعتمد على الأسلوب القصصي والوصفي في بعض رسائله الطِّوال خصوصاً الغفران ورسالة الصّاهل والشّاحج .

ولأنّ اللغة الشغل الشاغل لأبي العلاء ، حيث يرى الكون من خلالها ، ويختزل الوجود فيها ، يلبسها ظاهرات الحياة والطبيعة والوجود ، من حيث ((هي الطريق إلى الإدراك وهي الطريق وحدها دون شكٍّ عنده .)) [10] واللغة فكرٌ حقيقيٌ ، بل هي الكلّ الفكري في الفكر الكوني ، وحجر الزاوية في بناء الفكر ، على حدّ تعبير العلايلي . لذلك لا عجب إن رأينا للّغة عنده كلّ هذه المكانة .

4 السّخرية

السّخرية تعبيرٌ بالكلمات عمّا يجيش في ذات الأديب من أحاسيس وعواطف ، ترفض صفةً ما في شخصيةٍ معينةٍ أو موضوعٍ معيّنٍ ، لا يستطيع إليه تغييراً أو تقويماً ، لذلك لا يجد من سبيلٍ لإبراز رفضه إلا بهذا الأسلوب .

وقد عرفت السّخرية طريقها إلى كتابات المعريّ – ذلك الأديب الرافض للقيم البالية في مجتمعه – وإن كان قد استخدم أسلوب التواضع في صياغة عباراته ، لكنّه التواضع الذي لا يخلو من السّخرية ، سخرية المتمكن مما لديه من ذخيرةٍ علميةٍ ومعرفيةٍ العالم بنفسية الآخر ، مما أكسب سخريته ذاتيةً قلّ نظيرها في عصره ، لاسيّما أنّها كانت ((موجهةً ضد سخافة المعتقد و عدم انسجامه مع العقل .)) [11] مما يظهر في رسالته الغفران . فقارئ هذه الرسالة يكتشف بيسرٍ أنّها رسالةٌ في النّقد و السّخرية من معتقدات النّاس وتصوراتهم عن الجنّة والنّار ويوم القيامة من جهة ، ومِنْ هذا المتبجح الذي كُتبت له الرسالة من جهةٍ أخرى . وتكتظُّ الرسالة بأكملها بمواقف ساخرةٍ . بدءاً من دخول ابن القارح إلى الجنّة ، ومحاولاته المتعددة للفرار من مصاعب يوم الحشر ، اعتماداً على الحيلة في مدح رضوان و زفر . ثم حصوله على صكّ التوبة وإضاعته إيّاه وصولاً إلى دخول الجنّة في ركب الزّهراء . ناهيك عمّا حملته الرسالة من مواقف طريفةٍ ، فقد جعل أبو العلاء النّاس في الجنّة كالأشياء كلما طلب ابن القارح أحداً منهم حضر لحظتها . بالإضافة إلى تصويره جوّ المهاترات واللهو الذي يحدث في الجنّة و الذي لا يفرق عن جوّ المهاترات في الأرض بل يزيد عليه .

ومن أجمل الصّور الساخرة في جنّة الغفران صورة شجر الحور حيث يأخذ ابن القارح ((سفرجلةً أو رمّانةً ، أو تفاحةً ، أو ما شاء الله من الثمار ، فيكسرها فيخرج منها جاريةٌ حوراء عيناء ، تَبرَق لحسنها حوريات الجنان . فتقول : من أنت يا عبد الله؟ فيقول : أنا فلان ابن فلان . فتقول : إنّي أمنّى بلقائك قبل أن يخلق الله الدّنيا بأربعة آلاف سنة . فعند ذلك يسجد إعظاماً لله القدير . ويقول : هذا كما جاء في الحديث : أعددت لعبادي المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، بله ما أطلعتهم عليه ...

ويخطر في نفسه وهو ساجدٌ أنّ تلك الجارية _على حسنها _ ضاويةٌ . فيرفع رأسه من السُّجود وقد صار من ورائها ردفٌ يضاهي كثبان عالج و أنقاء الدّهناء ، وأَرْمِلَةَ يبرين وبني سعد ، فيهال من قدرة الله اللّطيف الخبير ويقول : يا رازق المشرقة سناها ، ومبلغ السائلة مناها . والذي فعل ما أعجز وهال . ودعا إلى الحلم الجهّال . أسألك أن تَقصُر بُوص هذه الحورية على ميل في ميل ، فقد جاز بها قدرك حدّ التّأميل فيقال له : أنت مخيّر في تكوين هذه الجارية كما تشاء فيقتصر ذلك على الإرادة.)) [12]

ويظهر في هذا الشاهد عمق سخرية أبي العلاء من ابن القارح ، إذ يصف شهوانيته التي طالت الجنان ، وهو الشّيخ الذي عاش حياته ماجناً فاسقاً ، لدرجةٍ جعلت المعري يصوّر الجواري اللواتي تمثّلهنّ ينتظرنه في الجنان يتقبلن التهنئة من جاراتهن فرحاً بتوبته . وفي الوقت الذي يحافظ فيه المعري على هيبته و وقاره وهو يرسم الصور المختلفة لمجون ابن القارح ، نبتسم ونحن نقرأ في الغفران صورة ابن القارح عندما يُفاجأ وهو يقبّل إحدى الجواري ، ويتمثل بأبياتٍ لامرئ القيس يصف فيها طيب رائحة فم

الجارية التي يتغزل بها بأنها حمدونة الحلبية التي طلّقها زوجها لرائحةٍ كرهها من فمها ، وقد كانت من أقبح نساء حلب . بينما لا نتمالك أنفسنا عن الضحك عندما يصّوره وقد طلبت منه إحدى الحيّات أن يقيم معها لتنتفض وتصير من أحسن غواني الجنة ، يترشف رضابها وتتنفس في وجهه حلو الرائحة ، فيذعر منها ويولي مهرولاً في الجنة كأنما مسّه خبلٌ وتتأصّل السخرية من ابن القارح عندما تتابع تلك الحية في إغوائه وهو يهرول خوفاً منها كأنّما تطارده .

لقد كانت للسخرية في رسالة الغفران أهميةٌ تكمن في ((تصويرها لسلوك شخصٍ له مرجعياتٌ أساسيةٌ في الحياة والسياسة والفكر ، وكلّ أشكال الحياة اليومية ، التي تحدّد جوهر ماهيته تجاه الآخرين .)) [13]فابن القارح معروفٌ بمجونه ونفاقه وشهوانيته وتهافته على متع الحياة لذلك كان إدخاله الجنة من باب السخرية لا ريب ، خصوصاً أنّ المعروف عن أبي العلاء هو العزوف عن مباهج الدنيا وملذّاتها ، فكيف يروقه مثل هذا النّمط من النّاس .

وإن كان المعري لا يعمد إلى الأسلوب المباشر في السخرية ، إلا أن سخريته مرّةٌ ولاذعةٌ تضرب في أعماق من يسخر منّه وحريٌّ بنا أن نذكر أنّه في رسالته الغفران قد ساق ابن القارح إلى العالم الآخر بمقدمةٍ ثعبانيةٍ ، لا يخفى على القارئ دلالاتها لما يحمله الثعبان من صفاتٍ يراها المعري منسجمةً مع صفات ابن القارح ، لاسيما بعد كتابه الذي أورده إياه ، وهو الشيخ الذي شبع من متع الدنيا وملذّاتها . فأراد بطريقةٍ أو بأخرى أن يجد لنفسه مكاناً بين أهل العلم والأدب ، ظنّاً منه أنّه يضمن لنفسه أثراً حسناً وهو المدبر عن الدنيا ، ويبدو أنّه اختار عنواناً خاطئاً لرسالته ، فالمعري ممن لا تنطلي عليهم مثل هذه الحيَل فجعل من نفسه بذلك تربةً صالحةً تنمو عليها سخرية المعري الذي لم يدّخر وسيلةً لإشباع روح السخرية لديه من هذا الشيخ المدّعي . فبعد أن أنطقه بما شاء من أمالٍ لغويّةٍ و أدبيةٍ ، عاد وكشف عن زيف ادّعائه وهزيل معرفته وذلك في ردّه على رسالته في نهاية رسالة الغفران مبتدئاً ردّه بسخريةٍ لاذعةٍ يقول فيها :

((فهمت قوله : جعلني الله فداءه ، لا يذهب إلى النّفاق . وبَعُد ابن آدم من الوفاق ، وهذه غريزةٌ خُصَّ بها الشيخ دون غيره وتعايش العالم بخداع ، وأضحوا من الكذب في إبداع ..)) [14]

ولا يخفى ما تحمله هذه المقدمة من إشارةٍ إلى نفاق ابن القارح وكذبه ، ذلك بوصف العالم كلّه بالخداع و الكذب واستثنائه منه أمّا في رسالة الصّاهل و الشّاحج . فالأمر لا يختلف كثيراً عن رسالة الغفران إذ إنّه لا يعدم طريقةً للسخرية من والي حلب عزيز الدولة . فقد جعل بغلاً يسعى إليه بمظلمةٍ نظمها شعراً مشيراً بذلك إلى ما عُرف عن عزيز الدولة من نظره بالعروض ومعرفته بأقدار الشعراء وتزاحم الشعراء على بابه . فالملوك شغلوا عن الفروض فما بال النظر بالعروض ؟ بل إن ذلك البغل يُضرِب عن إرسالها شعراً فيصوغها إلغازاً و توريةً عساها تُعرض على الفقهاء والشعراء في بلاطه فتحيّرهم بألغازها .

لقد حاول المعريّ تعرية الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ الإنسانيّ السّائد و فضحه على ألسنة البهائم والحيوانات . فالثعلب يغيب ثم يعود بأخبار حلب وما تتناقله العامّة من أهلها عمّا يجري في الحضرة العالية من عبثٍ بالغلمان ومن دسائس ومكائد ومجالس شربٍ وهذيان السّكارى وهم من قادة الجيش ، و البلد في محنةٍ فالحرب واقعةٌ في أي وقت .

كذلك تحدث عن غلمانٍ وردوا من بلاد الرّوم إلى عزيز الدولة . وقد اختلفت فيهم الروايات فمنّهم من يقول : إنّهم هديّةٌ من ملك الرّوم ، ومنّهم من يقول : إنّ عزيز الدولة اشتراهم بماله وقد اختلفوا في عددهم . ولكن أيّاً كان عددهم و كيفما كانت طريقة مجيئهم ، أفلا يقصد المعري من ذلك نقد واقعه ، والسخرية من عزيز الدولة هذا الذي أمر بتطهيرهم وقوله :

((كذلك يوجب فضله و دينه لأنّ مثلهم مثل أوزان الشعر لا يحسن استعمالها حتى يحذف منها شيءٌ .)) [15] ألا يحمل الكثير من السخرية منه أيضا ، فلم يتورع المعري ولم يراع أنّه روميّ الأصل ، بل هو مولى لمنجوتكين مولى العزيز بالله الفاطمي ، فيحدّثه عن ولدٍ لملك الرّوم _ بسيل _ غير شرعيٍّ قد جعل له رتبةً ، فإن مات أخوه الشرعيُّ قبله يقرّ بنسبه ويجعل الملك إليه . فيعلق المعريّ على لسان الثّعلب :

((و إنمّا ضربت المثل لهذا الولد ، لأنّها تحتمل أمرين : أن تكون من الوزن المديد ، وهو من بيت أهل المملكة في الشعر لأنّه أخو الطويل والبسيط وإن كان مقصّراً عنهما ، وهو معهما في دار الملك . وعنيت بدار الملك : الدائرة التي تجمعه وأخويه . فمثله مثل " إبراهيم بن شكلة " خرج اسمه بالغناء ، وأخواه " موسى و هرون " الملكان . والأمر الآخر في هذه الأبيات أن تكون من

الرمل ، وهو من عامة الشعر ، و بذلك حكم عليها أهل العلم . ولذلك يجب أن يحكم على هذا الولد بأنّه من العامة لا من الملوك .)) [16]

كذلك نلمح سخرية أبي العلاء في جمله الدّعائية الاعتراضيّة التي يستخدمها في رسائله كافةً ، والتي أسرف في استخدامها في رسالة الغفران ، خاصّة تلك المرفقة باستطرادٍ وتفسيرٍ . أو دعاء على كارهي ابن القارح . يقول في بداية رسالة الغفران :

((قد علم الجبر الذي نسب إليه جبرئيل .. أنّ في مسكني حماطةً ..تثمر في مودة مولاي _الشيخ الجليل _ كبت الله عدوّه ، وأدام رواحه للفضل وغدوّه)) وقوله أيضاً : ((قد علم _أدام الله جمال البراعة بسلامته _)) وكذلك ((وكأني به _ أدام الله الجمال ببقائه _)) فهو يكثر في رسائله من طلب طول البقاء لصاحبه . وهذه العبارة كما يقول الدكتور مصطفى ناصف ((عبارة ملتبسة يتناقلها الناس في استخفاف)) [17]

لقد سخّر أبو العلاء ذكاءه وعبقريته لنقد واقعه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني . ولكنّه لم يكن ذلك النقد المباشر ، فهو بالتأكيد لم يكن لينجو من ألسنة المغرضين وسياط الحكام و سيوفهم . لذلك آثر أن يكون نقده وسخريته بإلغازٍ حتى ينجو من ذلك . يقول في رسالة الهناء :

((و يجوز أن ينطق الله الأوّل جبال الرّوم ، فتقول عند الرَّشد المروم ، ليت ما تنبت بلادنا من الرّياض ، وما اكتسى به الشجر المثمر أو الغياض ، يصير كلّه من ديباجٍ ، يقدّم به إلى هذا السيد من حضرة الملك ذي التاج ، هديّةً للسلطان المكرَّم شبل الدولة _ أعزّ الله نصره _ يفرّقه في أفناء سُبيعةَ ، و يأخذ به على القوم البيعة .)) [18]

و هو تهكّمٌ لاذعٌ من شبل الدولة ، في إشارةٍ لأخذه البيعة لنفسه بالرّشوة ، وهو حال العصر البائس الفاسد ، يفضحه المعري في ثنايا رسائله بما لا ينفصل عن بنية السياق .

5 – الاستطراد و استخدام الجمل الدّعائية و الاعتراضية

والمقصود بالجمل الدّعائية : هي تلك الجمل المتضمنة الدّعاء لمن كُتبت له الرسالة بدوام العزّ والتأييد ، والنصر وطول البقاء وحراسة الله ، وعلوّ الدرجة ... والدّعاء على عدوّه باللعن والرّجم والخيبة ... وقد كثرت هذه الجمل في نثر المعري كثرةً لافتةً فتكاد لا تخلو منها رسالةٌ من رسائله . وغالباً ما تأتي جمله الدعائية اعتراضيةً في سياق الكلام . و لا يخفى على القارئ ما تحمله هذه الجمل في كثيرٍ من الأحيان من تهكّمٍ وسخريةٍ ، وذلك للمبالغة الشديدة في أسلوب الدّعاء أو الوصف الذي يستخدمه لإبراز صورة المخاطب أو كتابه أو خبرٍ عنه .

أماّ الاستطراد فشأنه شأن الجمل الدعائية ، من حيث كثرته في أدبه النثري إذ نجده في أوج حديثه في موضوعٍ معينٍ ، ينتقل ليذكر آخر ثم يسهب في الحديث عنه ، وغالباً ما يكون الموضوع الجديد في تاريخ الأمم ، وحوادث التاريخ ، أو العادات والتقاليد ، أو الكلام عن شخصيةٍ معروفةٍ يقرنها بما يتحدث به ، أو التركيز على ظاهرةٍ معينةٍ أوحالٍ أصابه . ففي رسالة الصاهل و الشاحج ، وبعد وصفه طرق معاملة بني آدم للشاحج ، وما أحلّوا به من الكدّ والهوان . يبيّن أنّهم يتبعون ذلك بقبيح المقال فيضربون به المثل بالذلّ ، ويقرنون إليه من يستغبون من الرّجال ، ثم يذكر بيتين للفرزدق في سبّ جرير . ويستطرد بعد ذلك في ذكر مثالب الإنس ، من سبّ الصاحب ، والطمع في الذليل ، وعدم حفظ المحارم ، والقسوة في معاملة الحيوان من تعطيش الإبل ، وبقر بطونها لشرب ماء كروشها في الحرّ . كذلك أكل الفقراء الميتة .

واستطراد المعري يعجّ بالفائدة العلمية والمعرفية والشواهد الشعرية . وهو لا يخلو كما لاحظنا من نقدٍ للواقع الاجتماعي ، أو النقد العلمي في شتى الميادين . فبالردِّ على قول الشاحج : إنّه لا يمنع أن تُلقى السباطة (الكناسة) على الضرير . يقول على لسان البعير: إنّه ((لو بلغت هذه المقالة ضرير المعرة لوقف له في بعض المضايق و معه عصا ليضربه بها و هو يرتجز بصدر هذه الآية :

ليس على الأعمى حَرَجْ و لا على الأعرجْ حَرَجْ

و تحمله الرغبة في إقامة الوزن على تسكين جيم حرج و جيم الأعرج)) ثم يستطرد في ذكر تسكين الجيم فيقول ((فأمّا تسكين جيم حرج ، فكما تسكّن الحروف في القوافي وأمّا تسكين جيم الأعرج ، كما قال الشاعر :

إنّكِ لو باكرتِ مشمُولةً حمراءَ مثلَ الفرسِ الأشقرِ

رحتِ و في رِجْلَيْكِ ما فيهما و قد بدا هَنْكِ من المِئْزَرِ)) [19]

ويستطرد مرةً أخرى ليبيّن سبب ارتجاز أعمى بصدر هذه الآية فيقول ((وإنّما قلت : يرتجز بصدر هذه الآية ، لأنّ أشياءً في الكتاب الكريم قد استعان بها الشعراء في النّظم ، ففيه آيتان متصلتان حذفت منهما لامٌ واحدةٌ و وصلهما الحكميّ بالوزن الخفيف فقال :

أرأيتَ الذي يُكذبُ بالدينِ فذاكَ الذي يَدُعُّ اليتيما

وآيةٌ أخرى إذا حذف منها إن ، أمكن أن توصل بالضرب الأول من السريع فيقال :

يا أيّها الناسُ اتقوا ربَّكم زلزلةُ الساعةِ شيءٌ عظيم)) [20]

فالاستطراد عند المعري يحمل دائماً معلوماتٍ معرفيةً تضجّ في ذهنه ، فتخرج استطراداً أثناء الحديث عن موضوعٍ معينٍ . ليترك الحديث عنّه ، ويتحدث عمّا خطر له في ذلك الحين . ولابدّ لنا من أن ننوّه هنا إلى أنّ استطراد المعري ليس تفككاً كما يراه البعض ، بل هو من باب تصوّره الكلمة باعثاً على استفزاز كوامن الذات ، وإحيائها خبايا النفس المعرفية فتخرج استطراداً

6- الحكم و الأمثال و الاقتباس من الشعر و القرآن الكريم :

تعجّ رسائل المعري بالحكم و الأمثال ، حتى يخيّل للمرء أنّه أحاط علماً بكل الأمثلة المعروفة منذ تكوّنت اللغة و فاضت بأمثالها و نظرةٌ واحدةٌ في تحقيق رسالةٍ من رسائله تكفي للدلالة على ما أسلفنا ، فرسالة الصّاهل و الشّاحج وحدها أورد فيها ما يفوق الخمسة والثلاثين ومائتي مثلاً . وهو يورد هذه الأمثال بالمكان والزّمان الملائمين لها ، وهذا إن دلّ على شيءٍ إنّما يدلّ على معرفة المعري العميقة بقصص هذه الأمثال وأسباب وضعها وانطلاقها على ألسنة العامّة ، ناهيك عمّا يُحمّلها من تهكُّمٍ وسخريةٍ من موضوعٍ أو شخصٍ ما في بعض الأحيان .

وهو يورد أمثاله تارةً دون زيادةٍ أو نقصانٍ ، وتارةً يتصرف بها حسب ما تقتضيه الحاجة ، وكثيراً ما يورد حشداً متلاحقاً من الأمثال دفعةً واحدةً .

كذلك نلاحظ أنّ ألفاظ المعري تحمل نَفَس الحكمة ، بل تصلح أن تكون حكماً في أحيانٍ كثيرةٍ . و ذلك لدقة موضوعاتها ، و قصر جملها ، فضلاً عن الصّنعة الفنيّة في إدراجها ، وكيفية عرضها ، أو طريقة الانتقال فيها من موضوع إلى آخر .

يقول في الأيك و الغصون : ((لا يستثيرن غضبك هجاء ، للأقدار النظرة و الفجاء . افرح بالحسنة إذا صنعتها ، واندم على صلاتك متى أضعتها . الأمل والحرص متواخيان . والزهد والعبادة نسيبان ... احذر صديقك وصاحبك ، مثلما تحذر عدوّك و محاربك ...)) [21]

فأسلوبه هنا كأسلوب الحكماء . مما دفع بعضهم إلى أن يطلق عليه لقب (فيلسوف الشعراء ، و شاعر الفلاسفة والحكماء) فهو حكيمٌ باعتراف الكثيرين .

كذلك يقول في الفصول و الغايات : ((الدنيا زائلةٌ زوال الظِّلال ، فأطعم سائلك لحم الجَزورِ و طعامك هبيد النَّعام ، و أكرم ضيفك و القوم يتكنفون بالغِثاث .)) [22]

فالمعري عارك الحياة ، ناضل في سبيل أن يكون . ولكنّها أدارت له ظهرها ولم تعره إلا المساوئ ولم تذقه إلا المرارة وبادلها بالمثل ، فأدار لها ظهره مقتنعاً بأنّها زائلةٌ لا محالة ، لذلك لا يأبه لشيءٍ منها ، بل يزهد بكل ما فيها . و هو إذ توصّل إلى هذه الحقيقة

لا يخفيها عنّا ، بل ينثرها علينا حكماً ، لعلّ الذكرى تنفع . فحريٌّ به وهو المفكر والعالم المبحر في العلم ، أن يقدم للآخرين خلاصة تجربته وعصارة تأمّله ، بطريقةٍ سهلة المنال يأبى عليها أجراً وهو الزاهد في الحياة ومتعها ، بل في الوجود كلّه لو امتلك المال لأهداه إلى أهل زمانه مع المعرفة .

ورسائل المعري عامّةً تمتلئ بالشعر حتى تكاد لا تخلو منه رسالةٌ من رسائله ، وهو إذ يورد بعض القصائد والأبيات الشعرية الخاصة به ، إنّما يسعى بذلك إلى إبراز مذهبٍ فكريٍّ معينٍ ، أو أمرٍ محددٍ يودُّ التفصيل فيه فيجعله موضوعاً لشعره . وقد ينسب تلك الأشعار لغيره من شخصياته الخيالية كما ورد في رسالة الغفران عندما التقى ابن القارح كبير الجن أبا الهدرش في جنّة الغفران ، فأسمعه العديد من الأبيات التي نسبها إلى الجنّ [23]، و هي ليست في الحقيقة إلا من جنحات خيال المعري الذي أحبّ أن تكون رسالته مستوفيةً كلّ المخلوقات من إنسٍ و جنٍّ و حيوانٍ و نباتٍ .

ولأنّ أبا العلاء اتصف بكثرة الحفظ ، والجرأة على تقديم آرائه الشخصية في مختلف العلوم ، نجده يجادل في نسبة بعض الأبيات الشعرية إلى أصحابها و كثيراً ما يصحح المنحرف منها ويبيّن ما فيها من عيوبٍ ، مما يتطلب منه إيراد هذه الأبيات ليجادل بها ، ويناقش من خلالها ، ويعرض أفكاره وآراءه الذاتية فيها ، متخذاً منها وسيلةً و غايةً في آنٍ معاً ، وتلك سمةٌ واضحةٌ في نثره ، إذ إنّك لا تكاد تقلب صفحةً من صفحات كتبه ورسائله ، إلا ويطالعك بيتٌ شعريٌّ أو أبياتٌ تختلف أغراض تضمينها تبعاً لما يقتضيه السياق أو موضوع الكلام .

أمّا بالنسبة لآيات الذكر الحكيم فإنّها تكثر في نثره إذ تكاد لا تخلو منها رسالةٌ من رسائله وهو يورد الآية أو الآيات ، ليجعلها مركز انطلاقٍ لأفكارٍ سيقوم بعرضها ، أو صلة وصلٍ لأفكارٍ متعددةٍ يريد البرهان عليها ، وكثيراً ما يوردها شواهد لما يتداوله الناس من معتقداتٍ ترسّخت في أذهانهم وكانت مبدأ تصوّرهم للجنة والنار ، أو الحديث عن القصص التاريخي وسير الأنبياء والرّسل والصالحين وقد وُصِم المعري بالكفر و الإلحاد فربما كان أخذه من القرآن الكريم سبيلاً لتخفيف التهم الموجّهة إليه فتكفّ سياط الحكام وألسنة المغرضين ، ولكن هيهات .

الخاتمة :

لقد كان المعري علماً متميزاً في سماء الأدب ، سخّر معارفه لخدمة اللغة العربية التي أحبّ . طوّر بها ، قوّم قواعدها ، نقد ما لا يقبله فيها ، أحيا ألفاظها البائدة ، وحاول جاهداً أن يحافظ عليها من العاديات لذلك استخدم خشن الكلام وغريبه وتكلّف السجع أفاد من ثقافات الأمم المختلفة ومن التراث الفكري العربي فخرج نثره كشعره متميّزاً بطريقةٍ خاصةٍ مهرها بخاتمه فدلّت عليه في الوقت الذي كان يدلّ عليها . لقد أعطى المعري وأجزل العطاء في كل مجالات الفكر ، الأمر الذي ترك أثره في الفكر العربي الذي استوحى الخيال واهتم باللغة وليس الاستشهاد بأدب المعري إلا دلالةً واضحةً على قيمته العلمية والمعرفية والاعتراف بمكانته الفكرية .

الإحالات

1- المعري ، أبو العلاء – رسائل أبي العلاء المعري مع شرحها ص5-6-7

أعنّة :ج عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . عزيز : شريف و نادر الوجود . الإلاحة : الحذر والإشفاق . الملاحة : الكلام الحسن ، اللمى : سمرة الشفتين واللِّثات يُستحسن .

الخيلان : ج خال و هو النكتة السوداء في الجلد .

2 – المعري ، أبو العلاء – رسالة الملائكة ص5

3 – حسين ، طه – تجديد ذكرى أبي العلاء ص 219

4- عساف ، ساسين – الصورة الشعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس ص 54

5 المعري ، أبو العلاء – رسائل أبي العلاء المعري مع شرحها ص 35 – رقاك : عوّذك –

الإحريض : العصفر – ودقه : مطره – الإغريض : طلع النخل أي أول حمله – الهبوة : الغبرة

6 – المعري ، أبو العلاء – رسالة الصاهل و الشاحج ص 95

7- المعري ، أبو العلاء رسالة الغفران ص 556

8- ناصف ، مصطفى – محاورات في النثر العربي ص 256

9- المعري ، أبو العلاء – الفصول والغايات ص 344 – العضب : السيف . أفلَّ : انثلم ، كهم : لم يقطع

10 – العلايلي، عبد الله – المعري ذلك المجهول . ص 39

11- طنوس ، وهيب- في النثر العباسي ص 368

12 – المعري ، أبو العلاء – رسالة الغفران ص 288 – 289

13- المعاوي ، عبد الله – ندوة المعري – الإبداع الفني في رسالتي الغفران و التوابع و الزوابع

14- المعري ، أبو العلاء – رسالة الغفران ص 381

15- المعري ، أبو العلاء – رسالة الصاهل و الشاحج ص 573

16- المصدر السابق ص 273 – 274

17- مجلة عالم المعرفة ص 288

18- المعري ، أبو العلاء – إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء ص 21

19 – المعري ، أبو العلاء – رسالة الصاهل و الشاحج ص 239

20- المصدر السابق ص 240

21- الجندي ، محمد سليم – الجامع في أخبار أبي العلاء المعري و آثاره – ص 706 – 707

22- المعري ، أبو العلاء – الفصول و الغايات ص 176 . يتكنفون بالغثاث : أي ماتت أموالهم فألقوها حولهم و الغثاث : الهزلى .

23- انظر رسالة الغفران ص 293 و ما بعدها .

المراجع:

.....

1- المعري ، أبو العلاء ، 1410 هـ - 1989م - **إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء** ، ط 1 دار الحديث ، القاهرة

2- المعري ، أبو العلاء ، 1404هـ - 1984م - **رسالة الصاهل و الشاحج** ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ، ط2 دار المعارف ، مصر

3- المعري ، أبو العلاء ، بدون تاريخ - **رسالة الغفران** ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ، ط9 دار المعارف ، مصر

4- المعري ، أبو العلاء ، بدون تاريخ - **رسائل أبي العلاء المعري مع شرحها** ، تحقيق : خليل حاوي ، منشورات دار القاموس الحديث ، بيروت

5- المعري ، أبو العلاء ، بدون تاريخ - **الفصول و الغايات** ، ضبط و تفسير : محمود حسن زناتي ، دار المعارف للطباعة و النشر ، سوسه ، تونس

6- الجندي ، محمد سليم ، 1992 - **الجامع في أخبار أبي العلاء و آثاره** ، ط2 ، دار صادر ، بيروت

7- حسين، طه ، بدون تاريخ - **تجديد ذكرى أبي العلاء** ، ط7 ، دار المعارف ، مصر

8- طنوس ، وهيب ، 1989 - **في النثر العباسي** ، ط3 ، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية ، حلب

9- عساف ، ساسين ، 1402هـ - 1982م ، **الصورة الشعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس** ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، دار مكتبة سومر ، حلب

10- العلايلي ، عبد الله ، 1995 م ، **المعري ذلك المجهول** رحلة في فكره و عالمه النفسي ، ط3 ، دار الجديد ، بيروت

11- مجلة عالم المعرفة / 218 / شباط 1997 **محاورات مع النثر العربي** مصطفى ناصف

12- **ندوة أبي العلاء المعري** - ج ، ع ، س - وزارة التعليم العالي - المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية 1997